

علاقة حميمة

نحن نؤمن
بأننا الذين
نؤمنون
بأننا الذين
نؤمنون

نحن نؤمن
بأننا الذين
نؤمنون
بأننا الذين
نؤمنون

نحن نؤمن
بأننا الذين
نؤمنون
بأننا الذين
نؤمنون

متى صلّيتم
فقولوا... أبانا.

فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارُ
تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ
عَطَايَا جَيِّدَةً فَكُمْ بِالْحَرِيِّ
أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ

يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ

(متى ٧: ١١).

هذه الكلمة "أبانا" هي مفتاح دخولنا إلى العرش الإلهي. إنها تدعونا للتقدم إلى الآب السماوي متذكّرين حقائق ثمينة وكثيرة. أرادنا الرب أن نتقدّم إليه على أساس البتوة. فنحن لا نستطيع إلا أن نشعر بالدفء والحنان والطمأنينة والامتنان عندما تبدأ صلاتنا بكلمة "أبانا".

كتب اللاهوتي الكبير جون أوين عن طبيعة الصلاة.
ما يلي:

"إني أقول إن الصلاة هي هبة ومقدرة شخصية أو هي ملكة روحية لإظهار وممارسة الإيمان والمحبة والإجلال والخافة كما البهجة والفرح وفضائل أخرى. وذلك بنوع من التعبير اللفظي بشكل طلبات وتضرّعات وتوسّلات وابتهالات ونسبيح وتمجيد وشكر لله. "لَا تَهْتَمُوا بِشَيْءٍ. بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ لِنُتَعَلَّمَ طِلْبَاتِكُمْ لَدَى اللَّهِ" (فيلبي ٤: ٦).

فصلواتنا تعتمد في مضمونها وأسلوبها على موقفنا الإيماني من الله ومفهومنا له. ظنّ الناس أنّ الله بعيد وهو لا يبالي بما يحصل للإنسان. ظنّوا أنه يحتاج إلى عبادتنا وتقدماتنا. ونسوا أنّ أكثر ما يحتاج إليه الإبن هو وجود الأب بقربه. "أبانا". يا لها من كلمة نبدأ بها صلاتنا

Owen, John. *The Works of The Spirit* - V4, p. 271. ١

متمسكين بالمحبة كالدافع الأول والسبب الأكثر إلحاحاً لها. «أَنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ!» (ايوحنا ٣: ١). فبا لها من بداية صلاة تُرفع وهي متمسكة بعلاقة اعتماد كلي على مَنْ هو المسؤول عن وجودنا. والوحيد العالم بجميع أحوالنا. «وَالآنَ يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُوْنَا. نَحْنُ الطَّيْنُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا وَكَلْنَا عَمَلُ يَدَيْكَ» (إشعياء ٨: ٦٤). في اللحظة التي ننطق بها الكلمة «أبانا» تبدأ نتائج وفوائد الصلاة بالتدفق علينا. ماذا يحصل؟

أ. نتذكّر امتيازنا؛ نحن لا نتقدّم إلى الله بصفته خالقنا أو إلهنا فحسب، فمَع كون هذه الميزات الرائعة تربطنا بالله، إلّا أننا نتقدّم إليه بصفة أعمق، وأكثر حميميّة، تجعل الرباط الذي يجمعنا به أقوى وأمتن، ألا وهي صفة الأبوة. فهذه الحقيقة هي مدعاة للفخر والدهشة، كيف أنّ الله القدير المتعالى والقُدوس أضحى أبانا!

لكن أمام هذا الواقع الكتابي يجب الحذر من تعميم أبوة الله على كل البشر، بحجّة الخلق أو المحبة أو العناية الإلهية، إذ إنّ للكتاب المقدس موقفاً مغايراً بل ومضاداً لهكذا تصاريح، فكلمة الله تعلّمنا أنّ الله هو خالق الكل، والسيد المتسلّط على الكل، لكنه ليس أباً لكل، فالله قد أرسل ابنه في ملء الزمان، لكي يفتدي الخطاة فينالوا التّبني. أرسل روح ابنه صارخاً

يا أبا الآب. كما أنه سبق فعينهم لأمر محدد. ألا وهو التبني. «إذ سبق فعيننا للتبني يسوع المسيح لنفسه. حسب مسرة مشيئته» (أفسس ١: ٥). فالكتاب واضح إذ إن الذين ينقادون بروح الله فقط. هم أبناء الله. «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرح: يا أبا الآب!» (رومية ٨: ١٤-١٥). فالأبوة مرتبطة بالولادة الجديدة كما يصرح يوحنا في إجيله. «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يوحنا ١: ١٢). قال الرب يسوع للكتبة والفرّيسين (الذين كانوا يناقشون الشريعة). «أنتم من أب هو إبليس». إذاً أولاد الله هم فقط. المولودون من الله ثانية. وأول ما يتميز به الإبن عن غيره من الخليفة. هو محبة متميزة من الأب. قال يسوع عن هذا الامتياز: «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وأمنتهم أني من عند الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٢٧). أكد الرسول بولس في الكثير من رسائله حقيقة محبة الأب ورفقته لنا في رحلتنا كأبناء على هذه الأرض. «والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رومية ٥: ٥). «نعمة ربنا يسوع المسيح. ومحبته الله. وشركه الروح القدس مع جميعكم» (١كورنثوس ١٣: ١٤). فعندما نصلي ونقول أبانا نعلن قبولنا لهذا الامتياز. كما نعبر عن شكرنا وامتناننا له. وتحديداً لهذه

المحبة. كتب جون أوين أيضًا في كتابه بعنوان "الشركة مع الله".
ما يلي:

"تَمَّةُ أمران لا بدَّ منهما إن كنا نريد شركة المحبة مع الآب. علينا أن نقبل محبة الآب كما علينا أن نُظهر المحبة له ممتنِّين ومعترفين بفضلِهِ. يجب على المؤمنين أن يقبلوا محبة الآب. إنَّ الشركة أو المودَّة الحميمة تكمن في العطاء والقبول. فليس لنا شركة مع الآب إلاَّ بعد أن نكون قد قبلنا محبته. كيف إذاً نقبل محبة الآب هذه كي تكون لنا شركة معه؟ يوجد طريق واحد، بالإيمان. أن نقبل محبة الآب يعني أن نُؤمن إيمانًا يقينيًّا بأنه هو بحُبِّنا."^٢

ب. نتذكَّر طبيعتنا: نحن أولاد الله، والطبيعة الروحية الجديدة التي فينا تختلف عن الطبيعة الجسدية القديمة الفاسدة التي ورثناها من آدم. الذي من الجسد. هو جسدي أي بشري. "المَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا ١:٣). لكنَّ الرسول بطرس علَّمنا أن المسيح قد أعطانا طبيعة جديدة في التَّبَنِّي. إذ صرنا شركاء الطبيعة الإلهية. وكيف ذلك؟! هل أصبحنا شركاء في صفات الله؟ طبعًا لا. لكن المقصود هو أننا صرنا شركاء في القداسة. إذ يكمل الرسول بطرس شرح هذه الآية طالبًا منَّا الهرب

Owen, John. *Communion with God*, p. 15. ٢

من الفساد الذي في العالم. فنحن شركاء الله والسماء. ولسنا شركاء هذا العالم الفاسد الذي يعيش بالشهوة والخطية. نحن من أب آخر ومن روح آخر. نحن أولاد الله. لذلك يجب أن لا نتشبه بهم وبأفكارهم وبحياتهم وبصلاتهم.

فمن الرائع اكتشاف هذه الحقائق الكتابية. وهكذا عندما نصليّ علينا أن نتذكر طبيعتنا الجديدة في المسيح.

ج. نتذكر ميراثنا: من الأمور البديهية أن يتمتع الإبن بالإمميزات التي لأبيه، إذ غالبًا ما يكون حال الإبن نابعًا من حال الأب. وماذا عننا؟ ما هي الإمميزات التي سنتمتع بها كأبناء الله. يعلمنا الوحي، أنه ما دام الشخص إبنًا فهو وارث لله بالمسيح. "ثُمَّ بِمَا أَنْتُمْ أَبْنَاءُ، أُرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِحًا: "يَا أَبَا الْأَبِّ". إِذَا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ" (غلاطية ٤: ٦ و٧).

لذلك علينا أن نتذكر عندما نصليّ، أن الله قد أشركنا في ميراثه في المسيح فنعمّق طلبنا ونرفّعه متذكرين أن للرب الأرض وملاها المسكونه وكل الساكنين فيها.

د. نتذكر انتماعنا: إن الحديث عن الانتماء في المسيحية، يُخرجنا من الحدود الأرضية والقوميات العرقية ويرتقي بنا إلى وطن

آخر، فيذكّرنا بهويّتنا السماوية، إذ أنّ أبانا قد وقر لنا هذا الانتماء وهذه الهوية. وعندما نتذكّر انتماءنا لا بد أن نفهم أننا لسنا وحيدين، فالعائلة كبيرة، إذ إنّ الملايين عبر التاريخ ينتمون إلى هذه العائلة، لذلك، فكلمة «أبانا» تشدّد على اللّحمة الجماعية بين الإخوة، فهو ليس أبك بمفردك بل أبانا جميعاً، لذلك قال صلُّوا «أبانا» أي في صيغة الجمع.

فعندما ترفع صوتك إلى الله تذكر انتماءك وهويّتك وعائلتك، عالماً أنّ ربّ هذه العائلة حنون على أولاده ويهبهم العطايا الجيّدة أكثر من أي أب أرضي.

هـ نتذكّر مسؤوليتنا؛ كل ما سبق وقيل في معاني هذه الكلمة المباركة ذكّرنا بامتيازات مجيدة، لكن أمام كل هذه الامتيازات والحقوق هناك واجبات ومسؤوليات، فيما أنّ الله هو أبونا، لا بد إذاً، أن نطيعه، فإذا كان على الإبن أن يطيع أباه الأرضي، فبالأحرى جدّاً أن يطيع الآب السماوي. هذا هو الوضع الطبيعي، فهذه العلاقة تتطلب خضوعاً وطاعة، وإذا كان الأمر مغايراً في أيامنا الحالية، حيث يتمرد الأبناء على أبائهم، فهذا لا يعني شيئاً ولا يغيّر المبدأ الذي وضعه الله، «الإبن يُكْرِمُ أَبَاهُ وَالْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ، فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبَا فَأَيْنَ كَرَامَتِي؟ وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدًا فَأَيْنَ هَيْبَتِي؟» (ملاخي ٦:١). يطالبنا الرب بإطاعته وإكرامه، لذا لا يمكننا أن نأتي

إليه ونقول "أبانا" بلا خجل ونحن لا نطيعه. فعندما
نصرخ "أبانا" علينا أن نتذكَّر كأبناء واجباتنا تجاه هذا الأب
الصالح والمحِب.